

# الإِنسان كما يفكر يكون

تأليف

جيمس آلان

ترجمة أسامة جناد

## درب الغنى

تأليف

جيمس آلان

ترجمة جانبوت حافظ





## التفكير والشخصية

لا يشمل القول المأثور: «كما يفكر الإنسان في قلبه فكذلك يكون»، كامل وجود الإنسان فحسب، ولكنه شامل جداً بحيث يمتد ليلاصق كل وضع أو ظرف من ظروف حياته. إن الإنسان هو حرفياً ما يفكر فيه ، وما شخصيته إلا الحصلة الكاملة لجميع أفكاره.

وكما ينتج النبات من البذرة ولا يمكنه الوجود لولاها، فكذلك تتبع كل تصرفات الإنسان من البذور الخفية للأفكار، ولا يمكنها أن تظهر لولاها. وهذا الأمر ينطبق بشكل متساوٍ على كل من الأفعال المسماة " عفوية" و " غير متعمدة" تماماً كما ينطبق على الأفعال المنفذة عمداً.

إن الفعل هو الزهرة المتفتحة للفكرة، والبهجة والمعاناة ثمارها، لذلك؛ فالإنسان هو حصلة كل من الحصاد الحلو والمر لزراعته الذاتية.

ما نحن إلا صنيعه أفكار عقولنا،

وما نكونه، قد تمت كتابته و بناؤه بالأفكار وإذا احتوى عقل المرء

أفكاراً شريرة فإن الألم يأتيه؛ تماماً

كما تلحق عجلات العربة بالحصان.

وإذا ما استطاع المرء الثبات والتحمل

فمن صفاء الفكر سوف تتبعه البهجة كظله تماماً بكل تأكيد

ينمو الإنسان استناداً إلى قانون، فهو ليس مخلوق الخدعة. و (قانون) السبب والنتيجة هو حقيقة مطلقة وطبيعية في العالم الخفي للفكر، تماماً كما في عالم الأشياء المادية والمرئية.

ليست الشخصية النبيلة والروحانية مسألة تفضيل أو حظ، ولكنها النتيجة الطبيعية للجهود المتواصلة في التفكير الصحيح، وهي نتيجة الاتصال الحميمي الطويل مع الأفكار الروحانية، ووفقاً للآلية نفسها؛ فالشخصية الخسيسة البهيمية هي نتيجة للاحتضان المتواصل للأفكار الدنيئة.

يُصنع الإنسان أو لا يُصنع من قبله هو شخصياً، فمن خلال مستودع أسلحة الفكر يقوم باستنساخ الأسلحة التي يدمر بها نفسه، ومن خلاله أيضاً يقوم بتصميم الأدوات التي يبني بواسطتها لنفسه قصراً فردوسياً من البهجة والقوة والسلام.

وبالاختيار الصحيح للأفكار والتطبيق الصادق لها يرتقي الإنسان إلى الأداء المثالي، ولكنه ومن خلال سوء استعمال الأفكار والتطبيق الخاطئ لها، ينحدر إلى ما دون مستوى الوحوش. وما بين هذين الحدين النهائيين، توجد مختلف مستويات الشخصيات والصفات التي يصنعها الإنسان ويتحكم بها.

من بين جميع الحقائق الجميلة الخاصة بالروح والتي تم تجديدها وإعادتها إلى الأضواء ثانية في هذا العصر، ليس هناك حقيقة أكثر إسعاداً وإثماراً من الوعد الإلهي والثقة التامة، بأن الإنسان هو سيد أفكاره وباني شخصيته وصانع ظروفه وبيئته وحياته.

































لم تعد الورشة تستطيع احتواءه؛ لقد أصبحت غاية في عدم الانسجام مع عقليته، بحيث إنها سقطت خارج حياته كما يُطرح الثوب جانباً.

وبالنمو المتزايد للفرص التي تلائم منظور قواه المتنامية باضطراد، فلقد غادر تلك الورشة إلى الأبد. وبعد سنوات عديدة تالية رأينا ذلك الشاب رجلاً ناضجاً، ووجدناه أستاذاً خبيراً في بعض القوى الذهنية الخاصة، والتي استخدمها ببراعة لامتلاك تأثير عالمي وقوى شبه خارقة، وهو يمسك بقبضة يديه بروابط مسؤوليات عظام. إنه يخطب في الناس، فتنغير حياتهم، يتشبث الرجال والنساء بكلماته ويعيدون قولبة شخصياتهم، وكالشمس أصبح المركز الثابت والمضيء الذي تدور في فلكه مصائر لا حصر لها. لقد حقق رؤية شبابه، ووصل إلى غايته المنشودة.

وأنت أيضاً أيها الفارئ الشاب، سوف تحقق رؤى قلبك (ولا نعني بها الأمنيات الكسولة)، وذلك سواء أكانت هذه الرؤى رديئة أم جميلة، أو مزيجاً من الاثنين معاً، ذلك أنك سوف تنجذب دائماً تجاه أكثر ما تحبه - خفية - من أشياء، وسيوضع بين يديك النتائج المطابقة تماماً لأفكارك الخاصة، سوف تتلقى ما تستحقه فقط، لا أكثر، ولا أقل. وبغض النظر عن ماهية ظروفك الحالية، فسوف تسقط، أو تحافظ على وضعك الحالي، أو ترتقي، بواسطة أفكارك، ورؤاك، وغاياتك. ستصبح صغيراً بقدر صغر شهواتك، أو عظيماً بقدر عظمة طموحك المهيمن عليك. أو كما عبر عن ذلك (سانتون ديفيس) بكلماته الجميلة: "لعلك تمتلك قيماً ومعتقدات، ولكن الآن يجب عليك أن تخطو خارجاً من الباب الذي بدا لك حتى الآن حاجزاً يفصلك عن قيمك المثلى، وعندها ستجد نفسك أمام جمهور المستمعين، والقلم ما يزال خلف أذنك، والحبر يلطخ أصابعك، وبين الفينة والأخرى ينبثق فيض إلهامك. قد تكون راعياً لمجموعة خراف، تهيم على وجهك إلى مدينة الرعاة والمشدوهين، وستهيم بتوجيه جسور من الروح إلى مرسوم المعلم الأستاذ، وبعد بعض الوقت سوف يقول لك: ليس لدي المزيد لأعلمك إياه.

والآن فقد أصبحت الأستاذ، الذي حلم منذ فترة قصيرة بأمور عظيمة فيما هو يقود الخراف، وستستلقي تحت المنشار والمسحاج<sup>3</sup> لتلقي على عاتقك مهمة إعادة انبعاث العالم."

لا يرى الطائش، والجاهل، والمتبطل، إلا النتائج المرئية للأشياء، لا الأشياء ذاتها. فيتكلمون على الحظ وحسن الطالع والمصادفات. يرون رجلاً يزداد ثراءً فيقولون: "كم هو محظوظ!"، ويرقبون آخر يصبح مفكراً فيصيحون: "يا لشدة التحيز له" ويلاحظون الصفات الورعة والتأثير الواسع لثالث ويعلقون: "كم ساعده الحظ عند كل زاوية". إنهم لا يرون المحاولات وال فشل والصراعات التي واجهها هؤلاء الرجال عن طيب خاطر لاكتساب خبراتهم، وليس لديهم معرفة بالتضحيات التي قدموها، ولا بالجهود الشجاعة التي بذلوها، ولا بالإيمان الذي مارسوه، عسى أن يتغلبوا على ما بدا أمراً تعجيزياً غير قابل للقهر، وتحقيق الرؤية الخاصة بقلوبهم. إنهم (أي الطائشون والجهلة والمتبطلون) لا يعرفون الظلمة والأحزان، هم فقط يرون النور والسعادة، ويلقبونه بـ "حسن الطالع". إنهم لا يرون الرحلة الطويلة الشاقة، ولكنهم يبصرون فقط الغاية السارة، ويدعون ذلك بـ "الحظ الطيب"، إنهم لا يفهمون سلسلة الخطوات والإجراءات والأفعال التي تم اتخاذها، ولكنهم يلاحظون فقط النتيجة، ويسمونها "مصادفة."

في جميع مساعي الإنسان التجارية والمهنية هنالك مجهود يبذل، وهنالك نتائج، ومقدار قوة هذه الجهود - وليس الحظ - هو مقياس للنتائج المكتسبة. إن المكتسبات سواء أكانت مواهباً أو قوى أو مواداً أو أفكاراً أو مكتسبات روحية، ما هي إلا ثمار الجهود، إنها أفكار تم إكمالها، وأهداف تم إنجازها، ورؤى تم تحقيقها.

















































نصل هنا إلى المعنى الحقيقي للخلاص. الخلاص من الظلمة وسيطرة الشيطان، وذلك من خلال الدخول في النور الحي والسرمدى للرب.

حيث يوجد الخوف والقلق والتوتر والشك والاضطراب والكدر أو خيبة الأمل يوجد جهلٌ ونقص في الإيمان.

فكل هذه الحالات الذهنية هي نتائج مباشرةً للأناية، وهي تركز إلى الإيمان بقوة الشيطان وسيادته، وهي تشكل من ثم شركاً عملياً، وأن تعيش في هذه الحالات المدمرة للروح وتصبح عبداً لها هو الشرك الفعلي.

إن الخلاص من مثل هذه الحالات هو ما يحتاج إليه عرفنا البشري، ولا يتباهى أحدهم بالخلاص فيما هو عاجز وعبء مطيع.

الخوف والقلق خطيئةٌ بقدر ما هو اللعن، فكيف يخاف الإنسان أو يقلق إذا آمنَ فعلاً بالعدالة الأبدية، والخير المطلق، والحب اللامحدود؟ الخوف والقلق والشك إنكارٌ وعدم إيمان.

من مثل هذه الحالات الذهنية ينبع كل ضعف وإخفاق، لأن هذه الحالات تمثل بطلان القوى الإيجابية للفكرة وتحطمها، والتي يمكن إن وجدت أن تنعم على حاملها بالقوة، وتحمل إليه كل الخير الذي ينشده. والتغلب على هذه الحالات السلبية يعني الدخول في قوة الحياة، والتوقف عن كونك عبداً، لتصبح سيدياً، وهناك طريقة واحدة فقط للتغلب على هذه الحالات، وهي النمو الثابت والمستمر للمعرفة الداخلية.

ليس إنكار الشيطان فكرياً أمراً كافياً، لا بد من الارتقاء فوقه وفهمه من خلال الممارسة اليومية. كذلك فإن التأكيد الفكري على الخير غير كافٍ، ولا بد من الدخول فيه وفهمه بعزيمةٍ لا تكل.

تؤدي الممارسة الذكية لضبط النفس بسرعةٍ إلى معرفة المرء بالقوى الداخلية لأفكاره، وتؤدي لاحقاً إلى امتلاك تلك القوى وتوجيهها وتوظيفها بالشكل الصحيح.

المقياس هو سيادتك على نفسك، وسيطرتك على قواك الذهنية بدلاً من الخضوع لها، ووفقاً لهذا المقياس وحده تسيطر على علاقاتك في العالم الخارجي وعلى ظروفك.

أرني شخصاً يزوي كل شيء تحت لمستته، ولا يستطيع الحفاظ على النجاح حتى عندما يكون بين يديه، وسأريك شخصاً يعيش باستمرار في الحالات الذهنية التي هي النقيض للقوة تماماً.

أن تعيش إلى الأبد متخبطاً في الشكوك، أو أن تغرق باستمرار في الرمال المتحركة للخوف، أو تدفعك رياح القلق دون توقف، كل هذا يعني كونك عبداً، وأن تعيش حياة العبودية، مع أن النجاح والقوة يدقان بابك دائماً منتظرين من يفتح لهما.

مثل هذا الشخص غير قادر على التحكم بعلاقاته لكونه عديم الإيمان فاقداً لضبط النفس، وهو عبد للظروف، وهو في الحقيقة عبدٌ لنفسه. يتعلم مثل هذا الشخص من محنه، ويعبر من الضعف إلى القوة من خلال ضغوط التجارب المرة. يشكّل كل من الإيمان والغاية القوة الدافعة للحياة.

ليس هناك ما لا يستطيع الإيمان القوي والغاية الثابتة أن يحققه. ومن خلال الممارسة اليومية للإيمان الصامت، تتجمع قوى الأفكار معاً، ومن خلال التقوية اليومية للغاية الصامتة تتوجه هذه القوى نحو الهدف المنشود لتحقيقه.

مهما يكن مكانك في الحياة اليوم وقبل أن تأمل بدخول عالم النجاح، والغيرية والقوة، عليك أن تتعلم كيف تركز قوى أفكارك بزرع الهدوء والسكينة. ربما تكون رجل أعمال وتجد نفسك فجأة أمام صعوبة شديدة أو كارثة محتملة. تشعر بالخوف والقلق وأنت على وشك أن تفقد صوابك.

إن الاستمرار في مثل هذه الحالة الذهنية قد يكون قاتلاً؛ لأن القلق حين يدخل تهرب المحاكمة الصحيحة، أما إذا استقدت من ميزة ساعة الصمت في الصباح الباكر أو في الليل، وذهبت إلى مكان تعزل فيه، أو إلى غرفة في منزلك حيث تعرف أنك ستكون حراً تماماً من أي تطفل، وهدأت من روع نفسك فإنك تجبر ذهنك على الابتعاد عن موضوع القلق بالتفكير في شيء ما في حياتك يفرحك ويشعرك بالبركة، ستجد عندها قوة هادئة وسكينة تزايد بالتدرج لتحلّ ذهنك، وسيزول قلقك.

في اللحظة التي تجد ذهنك يعود إلى القلق أعده من جديد، وضعه من جديد على مسار السلام والقوة. عندما تنجز هذا تماماً يمكنك أن تركز ذهنك كله على إيجاد الحل للخروج من محتكك، وما كان معقداً ومستحيلاً بالنسبة إليك في ساعة قلقك يصبح واضحاً وسهلاً، وسترى بتلك الرؤية الواضحة والمحاكمة المثالية التي تتبع من الذهن الهادئ غير المضطرب وحده المسار الصحيح والغاية المناسبة التي عليك الوصول إليها.

ربما تحتاج إلى المحاولة يوماً بعد آخر قبل أن تتمكن من تهدئة ذهنك تماماً، لكنك إذا تابرت فلا بد أن تحقق هذا. ولا بد لك من اتباع المسار الذي يتبدى في ساعة الهدوء تلك.

من المؤكد أنك حين تعود إلى عملك من جديد ويعود القلق ليحاول السيطرة عليك، فإنك ستبدأ التفكير بأن ذلك المسار خطأ أو أحمق، لكن لا تكثر لمثل هذه المقترحات.

اتبع تماماً وكلياً رؤيا ساعة الهدوء، وليس ظلال القلق. ساعة الهدوء هي ساعة الاستنارة والمحاكمة الصائبة.

تعود القوى المشتتة للأفكار عبر هذا المسار من ضبط الذهن لتتوحد وتتوجه، وكأنها أشعة المصباح الكشاف لتضيء المشكلة ونتائجها قبل حدوثها.

ليست هناك صعوبة مهما تكن شدتها إلا وتخضع للتركيز الهادئ والقوي للفكرة، وليس من هدفٍ معقدٍ إلا وتجسد بسرعة من خلال الاستخدام الذكي لقوى الإنسان الروحانية وتوجيهه إياها.

لن تحظى بأي فهمٍ ولو تقريبياً للقوة الهائلة للفكرة وعلاقتها التي لا تنفصم بالخارج والعالم المادي، وعن إمكانياتها السحرية عند توجيهها وتوازنها وقدرتها على إعادة تكييف ظروف الحياة وتحويلها، حتى تمضي عميقاً متفحصاً في طبيعتك الداخلية، وتتغلب على كثير من الأعداء الكامنين هناك.

كل فكرة تفكر فيها هي قوة ترسلها إلى الخارج، وبالتوافق مع طبيعتها وشدتها تمضي إلى الخارج لتبحث عن مسكن لها في أذهان أخرى تستقبلها، وتتفاعل معك في الخير أو الشر. يوجد تبادل لا يتوقف بين ذهن وآخر، وتبادل مستمر لقوى الأفكار.

أفكار الأنانية والأفكار المزعجة هي قوىٌ خبيثةٌ وكثيرةٌ وهدامةٌ، وهي رسل الشيطان يرسلها ليحفز الشيطان ويعززه في أذهان أخرى، لتعود هذه بدورها وترسلها إليك بقوةٍ مضافةٍ.

في حين أن الأفكار الهادئة والنقية وغير الأنانية رسلٌ ملائكيةٌ ترسل في العالم حاملة الصحة والبركة على أجنحتها، تقاوم قوى الشيطان، وتصب زيت الفرح على وجه المياه المضطربة بالقلق والحزن، وتشفي القلوب المكسورة وتعيد إليها إرثها من الخلود.

فكر في أفكار الخير، وستتجسد بسرعةٍ في عالمك الخارجي في صورة ظروف جيدة. سيطر على قوى روحك، وستتمكن من صياغة حياتك الخارجية كما تريد.

الفرق بين النقيّ وبين الخاطيء هو أن أحدهما يملك سيطرة مثاليةً على كل القوى في داخله، لكن الآخر خاضع ومستعبد لها.

ليست هناك بالتأكيد أي طريق أخرى نحو القوة الحقيقية والسلام الدائم إلا بالسيطرة على النفس، وإخضاعها وتنقيتها. أما خضوعك لنزعة حب السيطرة فهذا يعني أنك عاجز وتعيش وقليل الفائدة الحقيقية في العالم.

إن إخضاعك لتفاهات ما يعجبك ولا يعجبك، ونزواتك فيما تحب وتكره، ونوبات غضبك، والشك والغيرة وكل الأمزجة المتغيرة التي تنساق لها بدرجة أو بأخرى هي المهمة التي عليك إنجازها أولاً، إذا أردت أن تنسج شبكة الحياة بالخيوط الذهبية للسعادة والرغد.

ما دمت مستعبداً للأمزجة المتغيرة في داخلك، فإنك ستبقى بحاجة إلى الاعتماد على الآخرين وعلى المساعدات الخارجية في أثناء مسيرتك في الحياة.

فإذا أردت السير بثبات وأمان وأن تحقق أي إنجاز فعليك أن تتعلم الارتقاء والسيطرة على كل هذه التقلبات المزعجة والمشوشة.

عليك أن تمارس يوماً عادة إراحة ذهنك، أو ما يسمى "الدخول في الصمت". تعد هذه طريقةً لتستبدل بالفكرة المضطربة أخرى تحمل السلام، وبفكرة الضعف فكرة القوة. ولا يمكنك أن تأمل توجيه قواك الذهنية على المشكلات ومسارات الحياة وتحقق أي نجاح قبل أن تنجح في تحقيق هذا. وهي عملية تحويل المرء لقواه المشتتة وضخها في قناة واحدة من القوة.

كما يمكن تحويل مستنقع عديم الفائدة إلى حقل من الذرة الذهبية أو إلى حديقة مثمرة من خلال تجفيفه وتوجيه جداول الماء المشتتة والضارة إلى قناة واحدة موجهة، كذلك فإن من يمتلك الهدوء، ويخضع تيارات أفكاره ويوجهها، ينقذ روحه، ويقطف الثمار في قلبه وفي حياته.

مع نجاحك في كسب السيادة على اندفاعاتك وأفكارك تبدأ تشعر بقوةٍ صامتةٍ تنمو في داخلك، وتشعر بشعور مستقرٍّ من رباطة الجأش والقوة يرافقك. وتبدأ قواك الكامنة بالكشف عن نفسها، وفي حين كانت جهودك في السابق ضعيفةً غير مؤثرة، ستتمكن الآن من العمل بتلك الثقة الهادئة التي يخضع لها النجاح.

وبالتوافق مع هذه القوة الجديدة سيستيقظ في داخلك ذلك النور الداخلي الذي يسمى "الحُدس" ولن تسير مجدداً في الظلمة والهواجس، بل في النور واليقين.

مع تطور بصيرة الروح هذه، سترفع من مستوى المحاكمة و نفاذ الذهن بما لا يقاس، وستتطور في داخلك البصيرة التنبؤية التي تمكنك من الشعور بالأحداث التالية، والتكهن بنتائج عملك بدقة ملحوظة.

حالما تتغير من الداخل ستتغير رؤيتك للحياة، ومع تغير موقفك الذهني تجاه الآخرين ستتغير مواقفك وسلوكهم تجاهك.

ومع ارتقائك فوق قوى الأفكار الوضيعة الموهنة والهدامة، ستتواصل مع تيارات الأفكار الإيجابية المقوية البناءة للأذهان النبيلة الصافية والقوية، وستزداد سعادتك بما لا يقاس، وتبدأ بإدراك الفرح والقوة والتأثير التي لا تتولد إلا عن السيطرة على النفس.

ستشع بهذا الفرح والقوة والتأثير باستمرار، ومن دون أن تبذل أي جهد، ومع أنك الآن لن تدرك هذا، لكن الأشخاص الأقوياء سينجذبون إليك، وستوضع السلطة بين يديك، وبالتوافق مع التغير في عالم أفكارك ستتغير الأحداث في عالمك الخارجي.

"أعداء الإنسان من صنع يده"؛ ومن يريد أن يصبح مفيداً وقوياً وسعيداً عليه التوقف عن كونه مستقبلاً مذعناً للسلبية مستعظياً من الآخرين، وأن يبتعد عن تيارات الأفكار غير النقية، وكما يحكم صاحب المنزل خدمته، ويدعو ضيوفه، عليه كذلك أن يتعلم السيطرة على رغباته، وأن يحدد بصوت تملؤه السلطة الأفكار التي يسمح لها بدخول صرح روحه.

يضيف النجاح حتى الجزئي الصغير في السيطرة على النفس الكثير إلى قوة الإنسان، ومن ينجح في تحقيق هذا الإنجاز المقدس يدخل مملكة الحكمة التي لم يحلم بها يوماً والقوة والسلام الداخلي، ويدرك من حقق السيادة على روحه أن كل قوى الكون تساعد خطاه وتحميها.

أترغب في الارتقاء إلى النعيم

أو أن تنفذ إلى أعماق الجحيم

أن تعيش في أحلام الجمال الدائم

أو في مجاهل التفكير الحقيير

لأن أفكارك هي النعيم فوقك

وهي الجحيم في الأسفل

ليس النعيم إلا في أفكارك

وليس العذاب إلا من أفكارك

تختفي عوالم بمجرد التفكير

ليس المجد إلا في الأحلام

ومآسي العصور من النهر الأبدي للأفكار

الكرامة والعار والحزن  
والألم والبؤس والحب والكرهية  
ليست جميعها إلا أقنعةً للفكرة  
النابضة الجبارة التي تحكم القدر  
كما ترسم ألوان قوس قزحٍ  
الشعاع الواحد عديم اللون  
كذلك تصنع التغيرات في الكون  
الحلم الأبدي الواحد  
والحلم فيك أنت  
والحالم انتظر طويلاً  
أن يوقظه الصباح  
ليعيش الفكرة الحية والقوة  
التي تجعل المثالي واقعاً  
وتفني كل كوابيس الجحيم  
في النعيم الأعلى والأكثر قداسةً  
حيث النقي والمثالي  
الشر هو الفكرة التي تفكر في الشر  
والخير هو الفكرة التي تصنعه  
النور والظلمة، الخطيئة والنقاء  
تنبع كذلك من الفكرة  
تجوّل بأفكارك في الاتساع  
وسترى الاتساع  
ثبت ذهنك على الأسمى

وستكون أقرب إليه

## الفصل الخامس

### سر الصحة والنجاح والقوة

نذكر جميعنا بسعادة غامرة استماعنا إلى الحكايات ونحن أطفال. وكيف تتبعنا بتشوق الأحداث المتغيرة للصبى أو البنت الصغيرة المحمية من الشر دائماً في كل المحن التي تمر بها ومن مكائد الساحرة الشريرة، والعماقق المتوحش والملك الفاسد.

لم ترتجف قلوبنا الصغيرة خوفاً على مصير البطل أو البطلة، ولم نشك في انتصارهما في النهاية على أعدائهما؛ لأننا عرفنا أن الجنيات تنتصر دوماً، وأنها لن تتخلى أبداً عن نذرنا أنفسهم للخير والحقيقة.

وبالها من فرحة تنفجر فينا عندما تتدخل ملكة الجنيات بكل سحرها لتساعد بطلنا في اللحظة الحرجة، وتشتت كل الظلمة والاضطراب، وتمنحه الرضا الكامل بتحقيق آماله كلها، ليعيش في سعادة وهناء.

مع مرور السنين وتزايد تداخلنا مع مايسمى (واقع) الحياة تنطمس معالم عالم الجنيات، ويرحل سكانها الرائعون من أرشيف الذاكرة ليسكنوا ظلال العالم اللاواعي.

اعتقدنا بأننا كنا حكيمين وأقوياء إذ هجرنا أرض أحلام الطفولة، لكننا عندما نعود أطفالاً في عالم الحكمة الرائع نجد أن علينا أن نعود مرة أخرى إلى أحلام الطفولة الملهمة لنجد أنها واقعية في الخلاصة.

الجنى الصديق الصغير وغير المرئي تقريباً، ويمتلك مع ذلك القوة السحرية الهائلة، والذي يمنح الخير والصحة والثروة والسعادة مع كل الهدايا في الطبيعة بسخاء، يعود إلى الواقع ليصبح خالداً في روح الإنسان الذي يتعرف مع تزايد حكمته عالم قوة الفكرة، والقوانين التي تحكم العالم الداخلي لوجوده.

تعود الجنيات لتعيش من جديد كأشخاص في ذهنه، ورُسُل للأفكار، وقوى للأفكار تعمل بالتناغم مع الخير الأعلى السائد. ومن يبادرون يوماً بعد آخر إلى أحداث التناغم بين قلوبهم وبين الخير السامى، يتمتعون في الواقع بصحة وثروة وسعادة حقيقية.

ليست هناك حماية يمكن مقارنتها بالحماية التي يوفرها الخير، ولا أعني بالخير فقط الالتزام بقواعد الأخلاق في العالم الخارجي، إنما أعني نقاء الأفكار، والمطامح النبيلة، والحب غير الأناني والتحرر من التكبر.

الاستمرار بالعيش مع أفكار الخير يعني أن تحيط نفسك بمحيط نفسي من العذوبة والقوة التي تترك انطباعها على كل من يحتك بها.

كما يخلق شروق الشمس ظلالاً عاجزة تدور معها، كذلك تُبعد كل قوى الشر العاجزة أمام الأشعة المتغلغلة للفكرة الإيجابية التي تشع من القلب الذي أصبح قوياً بالنقاء والإيمان.

حيث يوجد الإيمان الصّرف والنقاء الذي لا تشوبه شائبة توجد الصحة، والنجاح والقوة. في شخص كهذا لا يجد المرض أو الإخفاق أو المحنة مكاناً تعيش فيه؛ لأنه لا يوجد لديه ما يمكن أن تتغذى عليه.

حتى الحالات الجسدية تتحدد إلى درجة كبيرة بالحالات الذهنية، وينجذب المجتمع العلمي إلى هذه الحقيقة بشكل متزايد. أما الاعتقاد المادي القديم بأن الإنسان هو ما يصنعه منه جسده فهو يتلاشى بسرعة، ليستبدل به اعتقاد ملهم بأن الإنسان أسمى من جسده، وأن الجسد هو ما يصنعه الإنسان منه بقوة الفكرة.

يتوقف الناس في كل مكان عن الاعتقاد بأن الإنسان يائس لأنه مصاب بالاكتئاب، ويبدوون بفهم أنه مكتئب لأنه يائس، وسيعرف في المستقبل القريب أن كل الأمراض لها منشؤها في الذهن.

ما من شر في الكون إلا وله أصوله في الذهن، والخطيئة والمرض والحزن والمحن تنتمي جميعها في الواقع إلى النظام الكوني وليست من طبيعة الأشياء، إنما هي نتيجة مباشرة لجهلنا بالعلاقات الصحيحة بين الأشياء.

في الهند قديماً مدرسة فلسفية تبنت حياة النقاء المطلق والبساطة، ووصلت أعمار أتباعها إلى مئة وخمسين سنةً بالمتوسط، واعتبرت الإصابة بالمرض نوعاً من العار لأنه إشارة إلى انتهاك القانون.

كلما أسرنا في الإدراك ومعرفة أن المرض بعيد عن أن يكون نوعاً من العقاب الاعتيابي من الله، إنما هو نتيجة أخطائنا أو خطايانا، أسرنا في اتباع مسار الصحة.

يأتي المرض لمن يجذبونه إليهم، ومن تتقبله أذهانهم وأجسادهم، ويبتعد عن الأقوياء الأتقياء ومولدي الجو الإيجابي من تيارات الأفكار التي تحمل الشفاء والحياة.

إذا سلّمت للغضب والقلق والغيرة والجشع، أو أي حالة ذهنية غير متناغمة، وتوقعت صحة جسدية ممتازة فأنت تتوقع المستحيل؛ لأنك تعمل باستمرار على زرع بذور المرض في ذهنك.

يحرص الحكيم على تجنب مثل هذه الحالات الذهنية؛ لأنه يعرف أنها أكثر خطراً بكثير من رشح مياه الصرف أو المنزل الموبوء بالمرض.

إذا أردت التحرر من كل الآلام والأوجاع الجسدية، والتمتع بتناغم جسدي مثالي فاضبط ذهنك واجعل أفكارك متناغمة. فكر في أفكار الفرح وأفكار المحبة، ودع إكسبير النية الطيبة يسري في شرايينك، ولن تحتاج إلى دواء آخر. ضع جانباً غيرتك، وشكوكك، وقلقك وضغينتك، وملذاتك الأنانية، وستضع جانباً سوء الهضم، وداء الصفراء، وعصبيتك وآلام مفاصلك.

أما إذا أصررت على التعلق بهذه العادات اللاأخلاقية المدمرة للذهن، فلا تتذمر من جسمك المريض. وتوضح القصة التالية العلاقة القوية بين عادات الذهن وبين الحالات الجسدية.

أصيب رجل بمرض مؤلم، وجرب طبيبياً بعد آخر دون نتيجة. زار بعد ذلك بلدةً عرفت بمياهها الشافية، وبعد الاستحمام في كل ينابيعها ازدادت آلامه أكثر.

زاره في الحلم في إحدى الليالي طيفاً قال له: "يا أخي هل جربت كل وسائل الشفاء؟"، فأجابته: "نعم جربتها كلها". فقال الطيف: "لا لم تجربها. تعال معي وسأريك نبعاً للشفاء لم تلحظه."

تبعه الرجل المريض فقاده الطيف إلى بركة صافية من الماء وقال: "اغمر نفسك في هذه البركة الصافية وستشفى بالتأكيد" واختفى الطيف.

غمر الرجل جسده في الماء، وعند خروجه منه شعر بأن المرض غادر جسمه، ورأى في اللحظة نفسها كتابةً فوق البركة (في التوبة). أدرك لدى استيقاظه معنى حلمه هذا، ونظر في نفسه فأدرك أنه قضى عمره ضحية لذاته الشخصية الخاطئة، وأنه أقسم مراتٍ كثيرة على التخلي عنها.

التزم بقسمه منذ ذلك اليوم، وبدأ مرضه يترك جسمه، وخلال فترة قصيرة شفي تماماً واستعاد صحته. يتذمر كثير من الناس من أن زيادة العمل تنهك أجسامهم، وفي أغلب الحالات يكون هذا الإنهاك نتيجةً للطاقة المهدورة بحماقة.

لتحافظ على صحتك عليك أن تتعلم العمل دون احتكاك؛ فالقلق والتوتر والغضب لأمر وتفاصيل تافهة هو بمنزلة الدعوة إلى الإنهاك.

العمل سواء العضلي أم الفكري مفيد وصحي، والشخص القادر على العمل بمثابرة ثابتة وهادئة متحرراً من القلق والتوتر، وبذهن ذاهلٍ عن كل شيء إلا العمل الذي بين يديه، لن ينجز أكثر من الشخص العجول والقلق فقط، بل إنه سيحافظ على صحته، وهي هبة يفقدها الآخرون بسرعة.

تسير الصحة الجيدة مع النجاح جنباً إلى جنب؛ لأنهما محاكان معاً لا ينفصلان ضمن نسيج الأفكار، وكما ينتج التناغم الذهني سلامة الجسم، يؤدي كذلك إلى تسلسل متناغم لعمل الإنسان على خطه العملية.

نظم أفكارك وستنظم حياتك. صبّ زيت السكينة على المياه المضطربة للرغبات والتحمل، وعلى زوابع الحظ العائر، ومهما يكن تهديدها لك فستجدها عاجزة عن تدمير قارب روحك، وأنت تشق طريقك في محيط الحياة.

وإن أدير هذا القارب بفرح وبايمان لا يتزعزع فسيسير آمناً، ومجانباً مخاطر كثيرة كانت لتهاجمه لولا هذا. ينجز كل عمل بقوة الإيمان. فالإيمان هو الأسمى، الإيمان بالقانون الأعلى السائد، والإيمان بعملك، وبقدرتك على إنجازه، هذا الإيمان هو الصخرة التي يجب أن تبني عليها إذا أردت الإنجاز، والوقوف دون أن تسقط.

أن تتبع في كل الظروف الدوافع السامية في داخلك، وأن تحافظ على صدقك مع نفسك المقدسة، وأن تعتمد على النور الداخلي، والصوت الداخلي، وتلاحق غايتك بقلب لا يخاف ولا يكل، مؤمناً بأن المستقبل سيعود عليك بثمار أفكارك وجهودك، وعارفاً بأن قوانين الكون لا تختل أبداً، وأن إرادتك ستعود إليك بدقة رياضية، هذا هو الإيمان والعيش بإيمان.

بقوة مثل هذا الإيمان تتشنت المياه المظلمة لعدم اليقين، وتزول كل صعوبة وعقبة، وتعب الروح المؤمنة سالمة. جاهد أيها القارئ لتحوز قبل كل شيء هذا الإيمان الثابت الذي لا يقدر بثمن؛ لأنه طلسم السعادة والنجاح والسلام والقوة الذي يجعل الحياة عظيمة وأسمى من المعاناة.

ابن على مثل هذا الإيمان، وستبني على صخرة الأبدية، وبمواد الأبدية، والبنيان الذي ستشيده لن ينهار أبداً؛ لأنه أسمى من كل ركام الرفاهيات المادية التي تنتهي غباراً.

سواء كنت ملقى في أعماق الأحزان أم مرفوعاً إلى أعالي الفرح، لا تتزحزح عن إيمانك هذا، وعد إليه دائماً براً للأمان، وأبق قدميك ثابتتين على أساسه الخالد الذي لا يتزعزع.

مسلحاً بمثل هذا الإيمان ستشعر بقوة روحانية تجعل كل قوى الشر التي تهاجمك تتبعثر كأنها دمي زجاجية، وستحقق نجاحاً لا يمكن لكفاح أي إنسان عادي أن يحلم بتحقيقه. "إن كان لديكم إيمان فلو قلتم لهذا الجبل أن يتحرك من مكانه إلى البحر لفعّل."

هناك أناس من لحم ودم ممن وصلوا إلى مثل هذه الدرجة من الإيمان، يعيشونه يوماً بيوم، ومن أخضعوا إيمانهم هذا لأصعب الامتحانات، ودخلوا مملكة مجده وسلامه.

مثل هؤلاء الناس قالوا كلمتهم لتنزاح عنهم جبال الأحزان وخيبة الأمل، والقلق الذهني والألم الجسدي، لتنجرف إلى بحر النسيان.

إن سكنك مثل هذا الإيمان فلن تكون بحاجة إلى القلق حيال النجاح أو الإخفاق، وسيأتيك النجاح. لن تحتاج إلى القلق حيال النتائج، بل ستعمل بفرح وسلام عارفاً بأن الأفكار الصحيحة والجهود الصحيحة لا بد أن تجلب النتائج الصحيحة.

أعرف سيدهً حققت الكثير من الرضا. فعلق أحدهم قائلاً لها: "يا لك من سيده محظوظة، ما عليك إلا أن تتمني شيئاً فيكون لك."

والأمر في الحقيقة يبدو هكذا في ظاهره، لكنه في الحقيقة البركة التي دخلت حياة هذه السيدة كنتيجة مباشرة للحالة الداخلية من الغبطة التي تعيشها في حياتها التي قضتها تزرع وتدرّب نفسها لتحقق الكمال.

لا يجلب التمني وحده أي شيء إلا خيبة الأمل، إنما طريقة العيش هي التي تخبر الحقيقة.

يتمنى الأحقق ويتذمر، في حين يعمل الحكيم ويصبر، ولقد عملت هذه السيدة، عملت في الخارج وفي الداخل، لكنها عملت بخاصة في الداخل على القلب والروح، وبنّت باليدين الخفيتين للروح، باللبات الثمينة للإيمان والأمل والفرح والتفاني والحب هيكلًا للنور أحاطها شعاعه المنير بنوره.

لمع البريق في عينيها، وشع من سبماها، وتردد في صوتها، وشعر كل من لامس حضورها بلمسته الأسرة. وكما هي الحال معها كذلك هي معك، في نجاحاتك وإخفاقاتك، تأثيرك، وحياتك كلها التي تحملها معك؛ لأن النزعات السائدة لأفكارك هي العوامل المحددة لقرارك.

أرسل أفكار المحبة السعيدة التي لا تصدأ، وستأتيك البركة بين يديك، وستفرش مائدتك بمسبل السلام.

أرسل أفكاراً غير نقية من الضغينة والتعاسة، وستمطر عليك اللعنات، وسينتظرك الخوف والقلق على وسادتك. فأنت المختار لأفعالك مهما تكن أفعالك هذه. وأنت ترسل في كل لحظة التأثيرات التي تبني حياتك أو تهدمها.

دع قلبك يكبر محباً غير أناني، وستجد تأثيرك ونجاحك عظيمين وباقيين، مع أنك تجني من المال القليل.

قيد قلبك بالحدود الضيقة لاهتماماتك الشخصية. ومع أنك قد تصبح فاحش الثراء إلا أنك ستجد تأثيرك ونجاحك في المحصلة لا يعدان مهمين. ازرع هذه الروح غير الأنانية إذن، واجمعها مع النقاء والإيمان، والغاية الواحدة وستطور في داخلك العناصر التي لا تجلب الصحة والنجاح الدائم فقط، بل العظمة والقوة.

إذا لم ترضَ عن موقعك الحالي، ولم تجد قلبك في عملك فنفذ واجباتك مع هذا بمثابة دقيقة، وارتح في ذهنك في الوقت نفسه لفكرة أن المنصب الأفضل والفرص الأعم باننتظارك، واحتفظ بصورة ذهنية حية لاحتمالات المنبثقة بحيث تتقدم بذهن محضراً تماماً للعمل في اللحظات الحرجة عندما تظهر لك قنوات جديدة، موظفاً الذكاء والبصيرة اللذين يولدان من الانضباط الذهني.

مهما تكن مهمتك ركز ذهنك كله عليها، ومدّها بكل الطاقة التي تستطيع. يؤدي الإتمام المثالي للمهمات الصغيرة - لا مفرّ - إلى مهمات أعظم. وانظر إلى هذه المهمات الصغيرة على أنها صعود بخطوات ثابتة ولن تخفق أبداً، وهنا يكمن سر القوة الحقيقية.

تعلم من الممارسة المستمرة كيف تسخر مواردك، وكيف تركزها في أية لحظة أو نقطة. يضع الأحمق طاقته الذهنية والروحانية كلها في التسلية، والثثرة الحمقاء والجدال الأناني، دون ذكر الطاقة الجسدية الضائعة.

إذا أردت امتلاك قوة عارمة فعليك أن تؤسس للاتزان وعدم الانفعال، وأن تتمكن من الوقوف وحدك. ترتبط كل القوة بعدم الحركة؛ فالجبال والصخور الهائلة وأشجار البلوط التي قاومت الأعاصير تخبرنا جميعها عن القوة، بسبب وقار عزلتها وثباتها الجريء، في حين أن الرمل المتنقل، والغصن الطيّع، وأعشاب السهول المتموجة تخبرنا عن الضعف؛ لأنها متحركة غير مقاومة، وهي عديمة الجدوى تماماً عندما تنفصل عن رفاقها.

الإنسان القوي هو الذي يبقى هادئاً وثابتاً لا يتحرك عندما ينجرّف رفاقه جميعهم بعاطفة أو شغفٍ ما. وقد نجح في السيطرة على نفسه وقيادتها.

يبحث الهيستيري والخائف و عديم التفكير والأهوج عن الرفقة وإلا سقط لافتقاده للدعم، لكن الهادئ عديم الخوف والمتفكر يبحث عن العزلة في الغابة أو الصحراء أو في قمة جبل ليضاف مزيد من القوة إلى قوته، وينجح باستمرار في النجاة من التيارات النفسية والدوامات التي ينجرّف البشر إليها.

ليس الشغف قوةً، إنما هو استخدام سيئ للقوة وتشنيت لها. تشبه الرغبة عاصفةً هوجاء تضرب الصخور الثابتة بقوة ووحشية، في حين أن القوة أشبه بالصخرة نفسها التي تبقى صامتةً لا تتحرك أبداً.

تجسدت القوة الحقيقية عندما قال مارتن لوثر المتعب من إصرار رفاقه الخائفين على سلامته من ذهابه إلى بلدة (وورمز) إذ قال: "لو كان في (وورمز) من الشياطين بقدر ما يوجد من قرميد على أسطح منازلها فسأذهب."

وعندما انهار بينجامين ديزرالي في خطابه البرلماني الأول وجلب على نفسه استهجان المجلس، فقد أظهر بوادر القوة عندما قال: "سيأتي اليوم الذي ترون فيه الاستماع إلي شرفاً."

عندما تعرض هذا الشاب الذي أعرفه، والذي مرَّ بكثير من معاكسات القدر، وسخرية رفاقه وطلبهم منه الكفَّ عن بذل المزيد من الجهد أجابهم: "لن يمر وقت طويل حتى تتعجبوا من حظي الطيب ونجاحي"، وأظهر أنه يمتلك تلك القوة الصامته التي لا تقاوم، والتي حملته على تجاوز صعاب شتى، وتوجت حياته بالنجاح.

إذا لم تملك هذه القوة فيمكنك تحصيلها بالتدريب، وبداية القوة هي أيضاً بداية الحكمة. وعليك أن تعمل لتتغلب على التفاهات عديمة الجدوى التي كنت ضحيتها حتى الآن.

الضحك الانفعالي غير المسيطر عليه والافتراء والحديث التافه، والمزاح لمجرد الإضحاك، كل هذه الأشياء يجب وضعها جانباً نظراً لكونها مضيعة للطاقة الثمينة.

لم يظهر القديس بولص بصيرته الرائعة للقوانين الخفية لتطور الإنسان إلى مستويات أعلى، أكثر مما فعل حين حذر أهل (أفسوس) من "الحديث الأحمق والمزاح غير اللائق" لأن اعتيادك مثل هذا السلوك يعني تدميرك للقوة الروحانية للحياة.

مع نجاحك في الارتقاء بنفسك وتحسينها ضد مثل هذه اللذات الذهنية ستبدأ بفهم القوة الحقيقية، وستعمل عندها على الارتقاء بروحك أعلى من هذه الملذات التي تبقي روحك سجيناً، وتسدُّ طريقك إلى القوة، وسيوضح طريق تقدمك أكثر فأكثر.

كن قبل كل شيء وحيد الهدف، واتبع غايةً مشروعةً ومفيدةً، وانذر نفسك لها تماماً. لا تدع أي شيء يحرفك عنها، وتذكر أن الشخص المتردد غير ثابت في طرقاته كلها.

سارع إلى التعلم، وأبطئ في الطلب. افهم عمك فهماً عميقاً وعُدّه خاصاً بك، وتقدّم متبعاً دليلاً الداخلي، والصوت الذي لا يخدعك، وستنتقل من نصر إلى آخر، وسترتقي خطوةً بعد أخرى إلى مواضع أعلى، وستكشف لك نظرتك التي تزداد اتساعاً جمال جوهرك وغايتك في الحياة.

كُن نقي النفس تكن الصحة ملكك، ومحماً بإيمانك، يحالفك النجاح، ومسيطرأ على نفسك، تملك القوة، ويزدهر كل ما تفعله؛ لأنك، وبعد أن توقفت عن كونك وحدةً متفرقةً ومستعبداً لنفسك، ستتناغم الآن مع القانون الأسمى، وعدت لا تعمل ضد الحياة الكونية، والخير الأبدي بل معهما.

أما الصحة التي تكسبها فتبقى معك، والنجاح الذي تحقّقه سيفوق حسابات البشر، ولن تزول من الوجود؛ فالتأثير والقوة التي ذللتها لخدمتك ستستمر بالازدياد عبر العصور؛ لأنها صارت جزءاً من المبدأ الثابت الذي يدعم الكون.

هذا هو إذن سر الصحة؛ القلب النقي والذهن المرتب، وهذا سر النجاح؛ الإيمان الذي لا يتزعزع، والغاية الموجهة بحكمة، وأن تمسك بعنان البذور السوداء للرجاء بإرادة لا تلين فهذا سر القوة.

كلُّ الطُّرُق بانتظار قدميَّ لتطرقها

النور والظلمة، والحياة والموت

الطريق الواسعة والضيقة، الصاعدة والهابطة  
الخير والشر، والخطوة السريعة أو البطيئة  
يمكنني الآن أن أسير في الطريق الذي أريد  
وأجد في سيري ما هو الخير وما هو الشر.  
وكل الخير الذي ينتظر قدمي الهائمتين  
إن وصلت بعهدٍ لم أحنثه  
سائراً على الطرقات الضيقة والواسعة والمقدسة  
من النقاء المولود في القلب، والباقي هناك  
يسير محصناً من السخرية والازدراء  
في دروب مزهرة وسط طريق الأشواك.  
ربما أقف حيث الصحة والنجاح والقوة  
تنتظر قدمي، إن أنا تعلقت في ساعة تمرُّ  
بالحب والصبر، وسلَّمْتُ  
دون شائبةٍ، ولم أجدُ  
ومن سموّ النزاهة، سأرى  
في النهاية أرض الخلود  
ربما أسعى وأجد، وربما أنجز  
ربما لا أطلب، لكن إن فقدت فقد أعود لأجد  
لن ينحني القانون لي، أنا من أنحني  
تحت سلطة القانون، وإن كان لي أن أصل النهاية  
في محنتي، إن كان لي أن أعيد  
روحي إلى النور والحياة، ولا أبكي مرةً  
ليس التعجرف والأناية لي

لي كل الأشياء الجيدة، فليكن هدفي متواضعاً

أن أبحث وأجد، وأن أعرف وأفهم

والحكمة تحمي كل الخطا المقدسة

ليس من شيء لي لأدعيه أو أطلب به

لكن كل شيء لي لأعرفه وأفهمه.

## الفصل السادس

### سر فيض السعادة

عظيم هو التعطش إلى السعادة، وكذلك هو افتقادها. يتوق أغلب الفقراء إلى الثراء، معتقدين بأن امتلاكهم للمال سيحمل لهم السعادة الأسمى والدائمة.

كثير من الأغنياء ممن جذبوا إليهم كل رغبة ونزوة، ويعانون السأم والتخمة، هم أبعد عن السعادة من الفقير المعدم.

إذا نظرنا في حال الأمور هذه، فستقودنا في النهاية إلى معرفة الحقيقة المهمة؛ بأن السعادة لا تأتي من المقتنيات الخارجية فقط، ولا يأتي البؤس من نقصها، لأنه لو كان الأمر على هذا النحو لوجدنا الفقير بائساً دائماً، والثري سعيداً دائماً، في حين أن العكس هو الحال غالباً.

عاش بعض أكثر الناس الذين عرفتهم بؤساً محاطين بكل أشكال الثراء والرفاهية، في حين أن بعض أكثر الناس سعادة وإشراقاً ممن التقيتهم لم يمتلكوا إلا أبسط مستلزمات الحياة.

كثير من الناس من فاحشي الثراء اعترفوا بأن الجذب الأناني الذي تبع جمعهم للثروة سلب حياتهم حلاوتها، وأنهم لم يكونوا يوماً سعداء، كما كانوا وهم فقراء.

ما السعادة إذن؟ وكيف تتحقق؟ أهي شيء مختلق، أو وهم، والمعاناة وحدها الخالدة؟ يفترض بنا أن نجد بعد معاينة دقيقة وتمعن أن الجميع، إلا من اتخذوا مسار الحكمة، يعتقدون بأن السعادة لا تتحقق إلا بتحقيق الرغبات.

هذا الاعتقاد المتجذر في تربة الجهل، والمروى بالشهوات الأنانية باستمرار، هو السبب في كل بؤس العالم.

ولا أقصر كلمة الرغبة على الشهوات الحيوانية الفاضحة، بل إن المصطلح يمتد إلى سياق نفسي أعمق حيث تعمل شهوات أكثر قوة ومكراً وإغواءً على استعباد الفكر والمهذب، مجردة إياه من جمال الروح وتناغمها ونقاها التي تعبر عن نفسها بالسعادة.

يعترف معظم الناس بأن الأنانية هي السبب في كل التعاسة في العالم، لكنهم يقعون ضحايا الوهم المدمر للروح بأنها أنانية شخص آخر وليست أنانيتهم.

عندما تعتزم الاعتراف بأن تعاستك كلها نتيجة لأنانيتك أنت، فلن تكون بعيداً عن بوابات النعيم، لكن ما دمت مقتنعاً بأن أنانية الآخرين هي التي تحرمك الفرح، فستبقى سجين مظهرك الذي خلقته بنفسك.

السعادة هي الحالة الداخلية من الرضا التام الذي هو الفرح والسلام، والتي تُستأصل منها كل رغبة. الرضا الناتج عن الرغبة المحققة عابرٌ ووهمي، وهو متبوع دائماً بطلب متزايد لإرضاء مزيد من الرغبات.

الرغبة نهمه كالمحيط، وتضجُّ أكثر فأكثر كلما أُببِت مطالبها. وتطالب بالمزيد من خدمها  
الموهومين، حتى يقعوا أخيراً تحت وطأة بؤس جسدي أو عقلي، ويُدفعوا في نيران المعاناة  
المطهّرة. الرغبة من أركان الجحيم، حيث يتوضع العذاب كله.

إن التخلي عن الرغبات هو إدراك الفردوس، وكل المسرّات تنتظر من يحجُّ إلى هناك.

أرسلت إلى روعي عبر الغيب

رسالةً مما بعد الحياة لأرقّيها

فأجابت روعي دون إبطاءٍ

وهمست لي قائلةً:

أنا الجحيم وأنا الفردوس

الجحيم والنعيم حالتان داخليتان. اغرق في نفسك وكل جوازبها فستغرق في الجحيم، ارتقِ فوق  
النفس إلى تلك الحالة من الوعي التي هي الإنكار المطلق للذات ونسيانها، فستدخل النعيم.

النفس عمياء، لا تملك المحاكمة، ولا تملك المعرفة الحقيقية، وتؤدي دائماً إلى المعاناة. أما الفهم  
الصحيح، والمحاكمة غير المنحازة، والمعرفة الحقيقية فتنتمي إلى حالة ربانية، و فقط عندما  
تدرك هذا الوعي الرباني يمكنك أن تعرف السعادة الحقيقية.

ستتجنبك السعادة مادمت مصراً على السعي الأناني إلى تحقيق سعادتك الشخصية، وستزرع بهذا  
بذور الشقاء.

وبقدر ما تنجح في نسيان نفسك في خدمة الآخرين ستأتيك السعادة، وستقطف ثمار البركة.

بالمحبة يتبارك القلب

وليس بأن تكون محبوباً

وفي العطاء لا في ابتغاء الهبات

نجد ما نسعى إليه

مهما تكن حاجتك أو توقعك

التي تعطيها

فهي ما تغذي روحك به،

وهكذا في الحقيقة

ستعيش واقعك

تعلقُ بالذفس؁ تتعلقُ بالذزن. وتحرر من نفسك تدخلُ عالم السلام. السعي الأنانى لىس فقداً للسعادة فقط؁ بل هو فقدُ أىضاً لما نعتقده مصدراً للسعادة.

كما بىحث النهم باسمرار عن أطعمة شهىة جدىة يحفز بها شهىته المىة؁ وكما أن المنفخ من الطعام؁ والمثقل به والمرىض نادراً ما ىتناول طعاماً ىتمتع به.

فى حىن أن من سىطر على شهىته للطعام؁ ولا ىسعى ولا ىفكر حتى فى مةة أمعائه؁ ىجد مةة فى تناول معظم الأطعمة البسىطة. ىنظر الناس إلى الشكل الملائكى للسعادة من خلال أعىنهم مةخلىلن أنهم ىرونه فى الرغىة المحققة؁ وعندما ىصلون إليه ىجدونه دائماً هىكلاً للبؤس. وصحىح أن "من بىحث عن حىاته ىفقدها؁ ومن ىتخلى عن حىاته ىجدها."

تأىك السعادة الدائمة عندما تتوقف عن التعلق الأنانى؁ أو تعتزم التخلى عنه. عندما تعتزم أن تتخلى دون رجعة عن ذلك الشىء المؤقت العزىز علىك جداً؁ الذى سىنفصل عنك سواء تعلقت به أم لم تتعلق؁ فستجد أن ما بدا لك خسارة مؤلمة هو فى الحقىة فوز عظمى.

أن تتخلى لكى تكسب؁ لىس هناك وهم أكبر؁ ولا مصدر أكثر توليداً للبؤس منه؁ أما أن تنوى التخلى وأن تعانى الخسارة فهذا فى الحقىة الطرىق إلى الحىة.

كىف ىمكن أن نجد السعادة الحقىة بإدخال أنفسنا فى تلك الأشىاء التى من طبعىتها التلاشى؟ السعادة الحقىة والباقىة لا ىمكن أن توجد إلا بالتمركز حول ما هو دائم.

لذا ارتق فوق توقك إلى الأشىاء الزائلة غير الدائمة؁ تدخل حالة وعى للأبدىة؁ وفى أثناء ارتفانك فوق نفسك؁ وتنقىتك لروحك أكثر فأكثر؁ والنضحىة بنفسك؁ وعىشك الحب الكونى سىصبح لك مكانك فى ذلك الوعى؁ وتدرك السعادة التى لا تظهر أى رد فعل؁ والتى لا ىمكن أن تؤخذ منك أبداً.

القلب الذى وصل إلى أقصى حدود نكران الذات فى حبه الآخرىن لم ىملك السعادة الأسمى فقط؁ بل إنه دخل عالم الخلود لأنه فهم السماوى.

ألق نظرة على حىاتك السابقة تجد أن لحظات السعادة القصوى كانت تلك التى تلفظت فىها بكلمة أو تصرفت تصرفاً من التعاطف أو الحب المنكر للذات. السعادة والتناغم مترادفان روحانياً.

التناغم أحد أطوار القانون الأسمى الذى ىعبر عنه روحانياً بالحب. كل أنانىة نشاز؁ أن تكون أنانىاً ىعنى خروجك عن التناغم مع النظام السماوى.

عندما ندرك أن الحب الذى ىعانق الجمىع هو نقىض النفس؁ نضع أنفسنا فى تناغم مع الموسىقا الربانىة؁ والأغنىة الكونىة؁ وىصبح اللحن الخالد الذى هو السعادة الحقىة لحننا.

ىندفع الرجال والنساء هنا وهناك فى بحث أعمى عن السعادة؁ ولا ىجدونها؁ ولن ىجدها حتى ىدركوا أن السعادة موجودة فىهم ومن حولهم؁ تملأ الكون؁ وأنهم فى بحثهم الأنانى ىمنعون أنفسهم عنها.

طاردت السعادة لأجعلها ملكى

مررت بأشجار البلوط السامقة

والكرمة المتعرشة المتمايلة فتجنبتني

لاحقتها لاهثاً في الجبال والوديان

لاحقتها في الحقول والسهول،

وفي الوديان الأرجوانية

طاردتها لاهثاً في الجداول المندفعة

تسلقت الجروف الشاهقة

حيث تصيح النسور

قطعت بسرعة الوديان والجبال

لكن السعادة هربت مني دوماً

متعباً ومنهكاً توقفت عن مطارقتها

واستلقيت أستريح على شاطئ قاحل

أتاني أحدهم يسألني طعاماً، وآخر يسألني صدقة

فوضعت الخبز والذهب في الأكف النحيلة.

سألني أحدهم تعاطفي، وآخر الراحة

فشاركت كل محتاج أفضل ما لدي

ويا للعجب! السعادة الحلوة في هيئة سماوية

وقفت أمامي تهمس بحنو "أنا لك"

تعبّر هذه السطور الجميلة من كلام بيرلي عن سر السعادة الباقية. ضحّ بالشخصي والزائل،  
ترتق في لحظة إلى اللاشخصي والدائم.

تخلّ عن النفس الضيقة المقيّدة التي تسعى إلى استحواد كل الأشياء المتعلقة باهتماماتها التافهة،  
ترافقك الملائكة إلى قلب الحب الكوني.

انسَ نفسك تماماً في أحزان الآخرين وفي عيونهم، تنتشلك السعادة السماوية من كل الحزن  
والمعاناة.

"خطوت خطوتي الأولى بفكرة طيبة، والثانية بكلمة طيبة، والثالثة بفعل طيب فدخلت الجنة"،  
ويمكنك أنت أيضاً أن تدخل الفردوس باتباعك المسار نفسه. ليس بعيداً بل هو هنا، لا يدركه إلا

غير الأناني. ولا يعرفه كله إلا نقي القلب. فإذا لم تدرك هذه السعادة غير المحدودة بعد فيمكنك أن تجسدها بأن تتمسك بمثالك النبيل من الحب غير الأناني، ورجاء عيشه.

الرجاء أو الصلاة رغبةً موجهةً إلى الأعلى، وهي الروح في تحولها لمصدرها السماوي، حيث لا يوجد إلا الرضا الدائم. تتحول القوى المدمرة للرغبة من خلال الرجاء إلى طاقة سماوية محفوظة.

الترجي هو أن تبذل الجهد لتنفض عنك أصفاد الرغبة، وهو الابن المبذر الذي أصبح حكيماً بسبب الوحدة والمعاناة عائداً إلى بيت أبيه.

مع ارتقائك فوق النفس الوضيعة، وكسرك للأصفاد التي تقيدك واحداً بعد آخر ستدرك فرح العطاء، وتميزه عن يؤس التمسك، فتعطي المادة والفكر والحب والنور الذي يكبر في داخلك. لتدرك حقيقة أن "العطاء أكثر بركةً من الأخذ."

لكن لا بد للعطاء من أن ينبع من القلب دون أي وصمة من النفس، ودون رغبة في المقابل. هبة الحب النقي مصحوبة دائماً بالبركة. وإذا شعرت بأنك جُرحت بعد أن أعطيت لأنك لم تحظ بالشكر أو الإطراء أو بوضع اسمك في الصحيفة فاعلم أن هبتك كانت بدافع الغرور لا الحب، وأنك أعطيت فقط للحصول على مقابل، ولم تعطِ فعلاً بل تعلقت بشيء آخر.

انسَ نفسك في مصلحة الآخرين، وانسَ نفسك في كل ما تفعله، فهذا هو سر السعادة الباقية.

تبقى دائماً واحرس نفسك من الأنانية، وتعلم الدروس الربانية للأضحية الداخلية بتفانٍ لتتسلق إلى أعلى أعالي السعادة، وتبقى في نور شمس الفرح الكوني متشحاً بدثار الخلود.

هل تبحث عن سعادة لا تدوي؟

هل تبحث عن فرح يعيش، ولا يترك يوماً بائساً؟

هل تلهث وراء جداول الحب، والحياة والسلام؟

اهجر الرغبات المظلمة إذن

وتوقف عن مساعيك الأنانية.

هل أنت تائه في مسارات الألم

مسكوناً بالأسى، تضربك المحن؟

هل تهيم في طرقات تجرّح قدميك المتعبتين؟

هل تنتهد تنشد مكاناً ترتاح فيه

حيث لا دموع ولا أحزان؟

ضحّ إذن بقلبك الأناني

وابحث عن قلب السلام.

## الفصل السابع

### إدراك الغنى

وحده القلب الذي يفيض بالنزاهة والثقة والكرم والحب يُمنح هبة إدراك الغنى الحقيقي. أما القلب غير الحامل لهذه الصفات فلن يعرف الغنى؛ لأنه كالسعادة ليست ملكية خارجية إنما هي إدراك داخلي.

ربما يحقق الجشع ثراءً فاحشاً، لكنه سيبقى دائماً بائساً، ووضيعاً وفقيراً، بل إنه سيعدُّ نفسه دائماً فقيراً ما دام شخص واحد في العالم أكثر منه ثراءً، في حين أن الشخص المستقيم مفتوح اليد والمحِب سيعيش الغنى والرغد التامين رغم قلة ممتلكاته الخارجية.

الفقير هو غير القانع، وأما الغني فمن قنع بما لديه، والأغنى هو الكريم مما لديه. عندما نتأمل في حقيقة أن الكون يزخر بكل الخيرات، سواء المادية أم الروحانية، ونقارنه بتعطش الإنسان الأعمى إلى جمع بضع قطع ذهبية، أو مساحات من التراب ندرك مدى ظلمة الأنانية الجاهلة، عندها نعرف أن السعي لإرضاء النفس هو تدمير لها.

تمنح الطبيعة كل شيء دون تحفظ، ولا تخسر شيئاً، أما الإنسان المتمسك بكل شيء فيخسر كل شيء.

فاذا أردت تحقيق الرغد الحقيقي فلا تستكن كما فعل كثيرون للاعتقاد بأنك إذا فعلت الصواب ساءت أمورك. ولا تسمح لكلمة (مناقسة) أن تهزَّ إيمانك في سيادة الصواب.

لا أهتم لما يقوله الناس عن (قوانين المنافسة)؛ لأنني أعرف القانون الذي لا يتغير والذي سيهزمهم جميعاً يوماً، والذي يهزمهم الآن في قلب الإنسان المستقيم وفي حياته.

عارفاً هذا القانون أستطيع الآن أن أشاهد كل الكذب من حولي دون أن أتأثر لأنني أعرف أين يقبع الدمار التام. في كل الظروف افعل ما تعتقده صواباً، وثق بالقانون، وثق بالقدرة الربانية القريبة في الكون، وهي لن تخذلك أبداً، وستبقيك محمياً دائماً.

ستتحول كل خسائرك مع مثل هذا الإيمان إلى فوز، وتتحول كل اللعنات والتهديد إلى بركة. لا تحد يوماً عن النزاهة والكرم والحب؛ لأنها مقرونة بالطاقة سترفعك إلى حالة الغنى الحقيقي.

لا تصدق العالم حين يخبرك أن عليك الاستمرار في (المرتبة الأولى (ويليك الآخرون؛ فهذا يعني عدم التفكير نهائياً في الآخرين، إنما في راحتك الشخصية فقط.

سيأتي اليوم لمن يقومون بهذا حيث يهجرهم الجميع، وسيصرخون في وحدتهم ويؤسهم دون أن يجدوا أحداً يسمعهم أو يساعدهم. أن يفكر المرء في نفسه قبل التفكير في أي شخص آخر؛ يعني أن يقيد هذا الإنسان كل نبض إلهي سام، ويحرف ويعيق.

اترك لروحك أن تتسع، ولقلبك أن يمتد إلى الآخرين بدفء المحبة والكرم، وسيكون فرحك عظيماً ودائماً، وستجد كل الغنى يأتيك. أولئك الذين حادوا عن طريق الصواب يحمون أنفسهم من المنافسة، أما من يلاحقون الحق دائماً فلا يحتاجون أن يتكبدوا عناء مثل هذه الحماية.

ليس هذا كلاماً فارغاً، فهناك أشخاص اليوم ممن استطاعوا بقوة النزاهة والإيمان أن يتغلبوا على كل المنافسة، ومن استطاعوا دون الانحراف عن منهجهم عندما ينافسهم أحد ما أن يرتفعوا بثبات إلى الغنى، في حين أن من حاولوا القضاء عليهم عادوا مهزومين.

إن امتلاك هذه الصفات الداخلية التي تؤسس للخير يعني أنك محصن ضد كل قوى الشر، ويعني حمايةً مضاعفةً في أوقات المحن، وزرع المرء لهذه الصفات في نفسه هو زرعه لنجاح لا يتزعزع، ودخولٌ في عالم من الغنى يستمر إلى الأبد.

ثوب القلب الأبيض الشفاف

ملطخ بالخطيئة والأحزان، واليأس والألم

وكل ينابيع الصلاة وبحيرات الندم

لن تعيد للثوب بياضه من جديد

لن تتوقف وصمات الخطأ عن تلويثي

وأنا أسير في درب الجهل

بقع الدنس تسمُّ درب النفس

حيث يكمن اليأس وتلسع خيبة الأمل

وحدها المعرفة والحكمة

قادرة على تطهير ثوبي

لأن فيها مياه الحب، وفيها

يهجع السلام صافياً وآمناً وأبدياً

الخطيئة وتكرارها هما درب الألم

المعرفة والحكمة هما درب السلام

وعلى طريق التجربة سأجد أين تبدأ البركة،

وكيف يتوقف الألم والحزن.

على النفس أن تترك المكان لتحلَّ الحقيقة مكانها

وأن يسكن فيّ الذي لا يتغير وغير المرئي

ويطهر ثوب القلب الأبيض الشفاف



## جيمس آلان

ولد جيمس آلان في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٦٤ م في مدينة ( Leicester ) في بريطانيا. وعندما كان في الخامسة عشرة من عمره تعرض والده لعملية سرقة وقتل، الأمر الذي اضطر جيمس إلى ترك المدرسة وممارسة العمل للمساعدة في دعم عائلته. وحتى الثامنة والثلاثين من عمره، وهو الوقت الذي تم تعريفه فيه على أعمال تولستوي، كانت حياة جيمس آلان عبارة عن حياة تاجر عادي. وعقب لقائه بكتابات الكاتب الروسي العظيم (والذي سيلهم لاحقاً مذهبه في اللاعنف المهاتما غاندي)، قام آلان برفقة زوجته ليلي وابنته نورا بالانتقال إلى ( Ilfracombe ) (في ريف ( Devon ) ليحيا حياة بسيطة من التأمل. وخلال السنوات التسع التالية، ألف ١٩ عملاً وحرر ونشر (مع زوجته) (المجلة الفلسفية نور العقل. تكمن الفكرة المركزية لأغلب كتب آلان في إمكانية استخدام قوة التفكير لأجل تطوير الأفراد وظروف حياتهم. وأكثر الأمثلة شهرة عن هذه الفلسفة موجود في العمل الكلاسيكي (كما يفكر الإنسان) (الصادر عام ١٩٠٢م، وهو الكتاب الذي يراه العديدون أحد الأركان الأساسية لحركات مساعدة الذات وأساليب التفكير الجديد.

توفي جيمس آلان عام ١٩١٢ م.

## مستخلص

يضم هذا الكتاب قسمين، الأول ((الإنسان كما يفكر يكون))، والثاني ((درب الغنى.))

هدف المؤلف في القسم الأول أن يقول للناس: أنتم الذين تصنعون أنفسكم، بسبب اختياركم لنوع الأفكار التي تشجعونها، والتي ينسجها العقل البارع برداء من الشخصية الداخلية والظروف الخارجية، وليس بالتجاهل والألم، بل بالاستنارة والسعادة.

حول هذا الموضوع تناول المؤلف عدداً من النقاط التي تؤدي إلى ذلك، وهي علاقة الشخصية بالتفكير، وتأثير التفكير في الظروف، وتأثير التفكير في صحة الجسد، والتفكير وعلاقته بالأهداف، ودور عامل التفكير في تحقيق الإنجاز، ودور الرؤى والمثل العليا، وأخيراً الصفاء النفسي.

أما القسم الثاني فأراد المؤلف أن يكون دليلاً للنجاح والسعادة؛ ومن هنا قدّم موضوعات أربعة، تدور حول الفكرة العامة، فوقف في أولها عند الشيطان ليأخذ منه درساً يقي من الشقاء والألم وسوء الحظ، وبين في ثانيها أن العالم الواقع انعكاس للحالة الذهنية، وفي الموضوع الثالث تحدث عن طريق الخروج من الظروف غير المرغوبة، وأخيراً فالموضوع الرابع يؤكد فيه على ضرورة سيطرة الإنسان على قواه.

الكتاب يخدم الإنسان من أجل اتزانته وسعادته.

## الهوامش

1بمعنى أنه لا يمكن تفسير أي وضع حياتي أو مادي بالاستناد إلى الوقائع الخارجية وحدها دون ربطها بطريقة تفكير الإنسان. المترجم.

2جهاز من الزجاج الملون يدخله النور الأبيض ويخرج منه على شكل حزمة ألوان. المترجم.

3فأرة النجار.

4شخصية إغريقية اشتهر بسيفه، ومنه أخذ تعبير سيف ديموكلين.